الشهيدة الصغيرة «شهد» مثالاً علر بشاعة الحرب وقبحها:

الأطفال والأمهات أبرز ضحايا الصراعات المسلحة

آثار وأضرار نفسية وجسدية دائمة على الصغار جراء الحروب الدامية

■ حتى تبعثوها تبعثوها ذميمة هكذا قال الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى وهو يصف الحرب. بالفعل هي ذميمة وقبيحة ولا تراعي حرمة ولا تعترف بقيم وعهود تشعلها أطراف معينة تقاطعت أو تضاربت مصالحها وتدفع ثمنها باهظاً الأسرة والمجتمع والدولة. الطفلة «شهد» شهيدة في عمر الزهور سقطت ضمن عشرات الأطفال الذين رحلوا عن هذه الدنيا مؤخراً في الصراع المسلح العنيف الذي تشهده الحصبة في العاصمة صنعاء « شهد» التي ظهر جثمانها الطاهر مضرجاً بالدماء على شاشات الفضائيات لم يكن إلا مثال بسيط لبشاعة الحرب وقبحها .. فيما لا يزال هناك العديد من الضحايا الأبرياء الذين يذهبون نتيجة طيش وتهور وجنون البعض.

تحقيق/
زهور السعيدي

بالطبع لا تتوقف آثار الحرب وأضرارها على الدماء المسفوحة فحسب بل تمتد لتشمل حاضر الناس ومستقبلهم وخاصة الأطفال الذين يجدون أنفسهم أسرى مشاهد مرعبة تلازمهم في الليل والنهار وتلقي بظلالها المعتمة على كل تفاصيل الحياة في قادم الأيام.

الخراب والدمار

هي الحرب إن حلت على قوم تحل عليهم بالويلات والمآسي واقعها يكون أليماً ومستقبل من يعيشها يكون أكثر إيلاماً.. الحروب وحدها من ينشر الخراب والدمار في كل مكان ويذهب ضحاياها الكثير من الناس كباراً وصغاراً وتعد النساء والأطفال هم الضحايا الرئيسيون الذين يمثلون غالباً الجزء الأكبر والأكثر عرضة للخطر من السكان جراء الحروب.

« ملحق الأسرة» التقى عدداً من الأطفال والصغار ممن يعيشون الوضع الأمني المتدهور جراء الصراع الدائر في منطقة الحصبة شمال العاصمة صنعاء ومناطق أخرى من الأمانة، حيث عبروا عن حزنهم ومخاوفهم الشديدة لما يجري.. ويقول عبدالله أحمد إبراهيم وهو طفل في العاشرة من عمره نرح برفقة أمه من منزله الكائن بالحصبة إلى أقارب له في منطقة نقم بأنه عاش مع والدته أياماً وليالي عصيبة تحت قصف المدافع والرشاشات من قبل الأطراف المتصارعة قبل أن يتمكن مؤخراً من الهروب من منطقة الحرب.. من جهتها توضح الطفلة نهلة الريمي الساكنة في الأجزاء الغربية من شارع مأرب .. لمنطقة الحصبة والتي تبلغ من العمر ١٢ عاماً بأنها ترى منامها مشاهد مخيفة لحروب طاحنة بين أناس لا يعرفون الرحمة أو الرأفة.

أما خواتم عبده محمد ذات الـ٨ سنوات فلم تتمكن من التعبير عن أحاسيسها إزاء ما يجري بالبكاء والطلب من والديها الرحيل عن صنعاء للبحث عن مكان أكثر أماناً.

آثار دائمة

تنتهي الحرب وتبقى آثارها على الأطفال مدى حياتهم، حيث يتعرضون لمآسي وأضرار نفسية وجسدية وقد يصابون بالموت أو يترك الحرب عليهم آثار جروح أو مرض وقد يحرم الأطفال في حالة الحرب من الغذاء الكافي والرعاية الصحية، حيث أنهم ما يزالون في طور النمو ولا تتوقف معاناة الأطفال بتوقف الحرب وأصوات الدبابات بل تصاحبهم المعاناة في مرحلة حياتهم المختلفة فعندما يرون مشاهد القتل والدمار أمام أعينهم قد تتأثر قدراتهم العقلية وقد تسبب الصدمة عليهم مشكلة عصبية ونفسية بالذات إذا شاهدوا جثث مشوهة لأقاربهم فلصغر سنهم يعتبرون أكثر ضعفاً وإن أثبتوا قدرة على التحمل ولكن قد ينقلب هذا على سلوكهم فيصبحوا أكثر عدوانية ويحصدون جراحاً نفسية لا شفاء منها. ويقول الأطباء النفسانيون عن الأطفال الذي عاشوا الحرب ربما لن يشفوا من الاضطرابات النفسية التي تسببها لهم الصور المختزلة في أذهانهم عن مشاهد الموت والدمار التي عايشوها فالآثار السلبية لتلك المشاهد لا تنتهي بنهاية مرحلة الطفولة لأن الأطفال لا يفهمون مبررات الحرب كما يفها الكبار فلا سبيل للتعبير عن تأثرهم سوى العدوانية والتبلد والخوف.

أثبتت الدراسات أن الحرب هي المشكلة الرئيسية في حياة الطفل والتي تعتبر السبب في حدوث القلق والاكتئاب والعدوانية وسقوط الطمأنينة ويصبح العالم الخارجي للطفل .. يقوم على القتل والقصف والتدمير، إن كثيراً من الأطفال يكونون شهوداً على ما يتعرض له ذووهم وأفراد عائلتهم، ما لم يتعرضوا أنفسهم للقتل والتشويه والفصل عن عوائلهم ومن ينجو من الحرب يجهل ما سيكون عليه مستقبلهم.

وحماية الطفل في زمن الحرب مبدأ يكرس القانون الدولي الإنساني ويلزم به الدول والجماعات المسلحة غير الحكومية على حد سواء، ويحتفل باليوم العالمي للطفل كل سنة في ٢٠ نوفمبر وهو التاريخ الذي اعتمدت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة وإعلان حقوق الطفل عام ١٩٥٩م واتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩م وأقرت ذلك في مختلف أنحاء العالم عام ١٩٥٤م بناء على توصية من الجمعية العامة التي حثت على إبقاء هذا اليوم يوماً للتفاهم بين الأطفال من أجل تعزيز رفاه أطفال العالم، حيث وأن منظمات حقوق الإنسان وإن أصدرت تقارير فهي تحاول المساعدة في تقليل الضرر الناجم عن الحرب الذي يدفع الأطفال ثمنها لهم أمراضاً نفسية تلازمهم مدى الحياة باعتبارهم الفئة الأقل ضعفاً.

وأخيراً

وفي نهاية تناولنا لهذا الموضوع لا بد من التأكيد على ضرورة أن تعمل الأطراف المتنازعة على تغليب صوت العقل والمنطق والانصياع لدعوات السلام من أجل الصغار والأبرياء والأمهات الثكل الذين يجدون أنفسهم يدفعون أثماناً باهظة لنزاعات وصراعات لا ناقة لهم فيها ولا جمل .. كما أن الحروب لن يجني الوطن منها إلا المزيد من الخسائر والأضرار التي يدفعها أبناء هذا الشعب الطيب الصبور وهنا نقول للجميع أو قفوا الحرب وانتصروا لوطنكم ولأبنائه أطفالاً ونساء وشيوخاً ولا تستمروا في عنادكم وإصراركم على سرقة بسمة الصغار من شفاههم ونشر الذعر والهلع في كل مكان.